

مع النَّصِّ القروي في "ألحان سروية" د. يوسف حسن العارف



(1) "ألحان سروية" عتبة عنوانية لافتة، تشير - صراحة - إلى (السراة) - المكان الجبلي الذي يمثل سلسلة جبلية في جنوب بلادنا السعودية، أو إلى السراة/ العلو الشاهق والارتفاع العالي، وإضافة (ألحان) من باب الصفة والموصوف، ف(الألحان) هي الأصوات الموسيقية أو النَّبْر والتنغيم والإيقاع في الكلام، و(اللحن) يعني - فيما يعنيه - الخطأ في القول أو المعنى منه بعيداً كان أو قريباً، وكل هذه المعاني يمكننا من تأويل العتبة العنوانية التي اختارها صاحبنا لهذه المدونة السردية/ مجموعة قصصية(1).

ويؤكد ذلك كله، اللوحة الفنيّة التي اختارها المؤلف أو الناشر، والتي تمثل وادياً مخضراً وجبالاً تكسوه الشجيرات، وفي ذلك دلالة وإلماحة إلى إحدى قرى الجنوب وجبال السراة المكسوة بالشجيرات والمزروعات.

ولعل الأقرب لهذه القراءة النقدية/ الجمالية هي أن تكون العتبة العنوانية دالة على ما في المجموعة من استلها م لفردات النَّصِّ القروي/ وتراثيات الضواحي والأرياف السروية/ والانصهار في بوتقة استعادة المفقود من تراث القرى، وجماليات البيئة القديمة.

وفي النص القصصي الأول الذي يحمل هذا العنوان العتباتي (ألحان سرديّة) نجد المفردات القروية التالية:

(1) عبدالله ساعد (المالكي): ألحان سروية، نادي القصيم الأدبي، ط، 1، 1444هـ/2023م.

الجبنيّة الفضيّة - المكتلين الفارغين، سعف النخل، الرقيب، ألحان سروية موعلة في القدم، بيت من الشعر الشعبي:

"ألا يا علي وش تقول الحمامة .. تقول اطلعوا بي السراة عند تهامة"

وهذا يعني أننا أمام نصوص قصصية تتعالق في أبعادها التكوينية والجمالية والسردية مع معجم النصوص القروية ومفرداتها الشعبية مما يدل على المكان والبيئة التي تتمحور حولها هذه الدلالات والمفردات.

وهذه ميزة جمالية/ سروية أن يتعالق القاص الأديب عبدالله ساعد - كما هو في مجموعاته القصصية السابقة التي قرأناها وعرفنا بها نقدياً - مع القرية وتمثالاتها اللغوية والمعاني والمفردات وهذا يؤكد ارتباطه بالنص القروي حسب تعريفنا له ذات قراءة ناقدة!!

(2) تحمل هذه المجموعة نوعين من السرد القصصي وهما: القصة القصيرة، وفيها (14 أربعة عشر) قصة قصيرة، والقصة القصيرة جداً / الومضة (ق.ق.ج)، وفيها (6 ست) قصة جداً.

ولعلي أبدأ بجماليات ال(ق.ق.ج) وهي التي أسميتها ذات قراءة نقدية ب/ (النص البيخيل) ذلك أنها نصوص مكثفة/ كبسولة معرفية مركزة/ بإمكان المؤلف استثمارها كفكرة موجزة ثم يتوسع في أحداثها وأبطالها لتصبح قصة قصيرة أو طويلة، ولكنه أثر الاختصار والتكثيف اللغوي والدهشة والمفارقة والاختزال في إشراقات ذهنية وخاطرات فكرية/ سردية. وفيها الإيحاء والرمز بعيداً عن تحليل الشخصيات واستبطانها أو سرد المقدمات والأحداث وتناميها، أو الوصف ومزيد التصوير، ويكتفي بالحدث في شرطه السردية بعيداً عن كل التفاصيل.

وكنموذج / شاهد، هذه قصة متكاملة الأبعاد ولكنها (ق.ق.ج) يقول فيها السارد:

"خلف المقام وقف ليصلي ركعتين بعدها سيكمل النسك، اهتز الجوال برسالة قادمة.

- لم يتم ترشيحك للمنصب الجديد، حذف الرسالة، قطع العمرة، وعاد للبيت"(2)

وبإمكان القارئ أن يطبق على هذا النص المواصفات السابق ذكرها ليجد أنه أمام سرديّة فائقة/ مكثفة/ رامزة/ موحية/ دالة فيها مفارقة وعجائب ودهشة النهايات فيها اختزال وتكثيف!! وهنا يكمن الجمال والإبداع موضوعاً، وأسلوب معالجة، وكيوننة سردية جديدة، وعنونة لافتة (نكوص)!!

وفي باقي ال(ق.ق.ج)، نجد هذه المنهجية الجمالية، والسردية الفاتنة بقلم واعٍ وإحساس صادق، وتجربة شعورية متماسكة وناضجة.

ولأن ال(ق.ق.ج) ابنة الحضارة والمدنية والمعاصرة مع جيل التويتر والواتساب وفضاءاتها السبيريانية المكثفة واختصاراً وتكثيفاً، فإن مفردات ومصطلحات النص تسجل غياباً تاماً في هذه المدونات .. ولعل هذا موضع تساؤل مع المبدع/ عبدالله ساعد؟!

(3) وإذا وقفنا عند النصوص القصصية القصيرة الأربع عشرة وجدناها تتوزع بين النص القروي والنص المدني الذي نلحظه من خلال (6 قصص) تحكي أحداثاً وموضوعات تمس المدنية، والمكان المدني/ الحضري!!

أما النص القروي فإنه يستأثر بـ/ (8 قصص) تستبطن هذه الجمالية السردية التي تميز هذه المجموعة وجميع ما يكتبه عبدالله ساعد، فنجد الفأس، أشجار العرعر، العصائب، القدوم(3)، الإبريق، المجرفة، براد الشاهي الصيني الأحمر، الجمر/ الحنّة/ الرغيف(4).
الطيس، القدور، أبريق، نحاس(5).

-
- (2) المجموعة نفسها: ص ٦٧.
(3) قصة عتمة، ص ص 61-64.
(4) قصة ضوء بيتنا، ص ص 33-36.
(5) قصة الأبريق، ص ص ٢٣ - ٢٠.

البونو، السحاب، محجاة، العرفج، السكب، معبر، زرفار (قصة القنص ص ص ١٣-١٧).

ومن خلال هذه المفردات والمصطلحات يتفنن عبدالله ساعد في مجموعته القصصية ويلامس الآفاق التراثية القروية وخاصة في (السراة) حيث المكان والقري والبدوة أفعالاً ماضوية - قبل أن تصلها قطارات التحديث والمدنية - وفي ذلك ما يسميه النقاد استرجاع الماضي، أو استعادة المفقود!! وهكذا عشنا جمالياً مع المجموعة السردية/ القصصية الأخيرة للمبدع الأديب القاص عبدالله ساعد الذي حملنا معه في رحلة قروية حيث الماضي والجمال والإحساس والتذكّار، وفي ذلك صدئٌ للسنين ورمزاً للحنين، وإستجاباً للماضي السحيق!!

والحمد لله رب العالمين

جـدّة
عصر ومساء السبت 1445/6/3هـ